قوة الغريزة في الانسان

الشائع بين الناس عامة ان الغريزة هي القوة الحاكمة في الحيوانات وان قوة العقل معدومة فيها او لا شأن لها يذكر . وان الانسان على الضد من ذلك اي ان العقل هو القوة الحاكمة فيهِ وان الغريزة تتسلط على الوظائف الآلية لا غير

وليس من ينكر ان الحيوانات وخصوصاً بعض طوائف الحشرات منها تفعل بقوة غريزتها افعالاً يعدّها الانسان من خوارق الطبيعة ولكن هناك ما يحمل على الاعتقاد ان فعل الغريزة في الانسان اعظم مما يظن عادة. فالعواطف والشهوات فيهِ من الغرائز والعقل وحدهُ لا قدرة فيهِ على تنبيه صاحبهِ الى عمل من الاعمال او استحثاثهِ على امر ما . ولو وُجد انسان لهُ عقل وليس لهُ عواطف لما استطاع ان يصنع شيئاً او يقوم بعمل لانهُ يكون خالياً من السرور والالم وهما اللذان يحركان المرء الى عمل الاعمال او اجتناب عملها . وقد يكون لهذا الانسان علم كامل بنتائج الاعمال التي يختار عملها ولكنهُ لما كان خالياً من الشعور فانهُ لا يعبأ البتة بهذه النتائج فلا يفعل عملاً على عمل

نعم ان رجلاً مثل هذا متمتعاً بكامل قواهُ العقلية وخالياً من الشعور والعواطف والشهوات لا وجود لهُ ولكن الناس يختلفون في قوة عواطفهم كل الاختلاف . وهناك ما يحمل على الظن ان هذا الاختلاف في الامزجة لا الاختلاف في القوة العاقلة هو الذي يعين مركز كل انسان في الهيئة الاجتماعية . وهذا مصدّق لقول من قال « ان الانسان قد تكون لهُ مواهب الملائكة ولكن ذلك لا يمنع ان يكون غرّا غبيًّا » . وليس يكفي الواحد منا ان يكون قادراً على عمل شيء من الاشياء بل يجب ان يكون فيهِ العامل الذي يدفعهُ اليهِ

ومن اعظم هذه العوامل او البواعث القوية وخصوصاً في اهل المواهب عامل اتقان العمل . فني الناس مثل هؤلاء لا تكون قوة الابداع او الابتكار بادىء بدء وسيلة لبلوغ غاية مادية بل هي تلبية لامر لا يمكن عصيانهُ واجابة لعامل لا يستطاع دفعهُ . فقد صدق بعضهم حيث قال ان صاحب الموهبة يصنع ما يطيق صنعهُ اما العبقري فيصنع ما لا بدّ لهُ منهُ ولا غنى عنهُ

يحكى ان بعض الكتاب الاميركيين سأل الشاعر لونل رأيهُ في خير الطرق لتصيرورتهِ كاتباً مجيداً فاجابهُ بان « اول الشرائط لذلك ان تكون فيك قوة تكرهك على الكلام » . وهذا يشبه قول ارنولد بنيت في اول صفات الكاتب وهي انهُ « لا يستطيع ضبط نفسهِ وكتمان سره بل لا بدَّ لهُ من الجهر بهِ . وهكذا الصانع صناع اليد فانهُ انما يلبي داعي غريزتهِ »

ويقال بالاجمال انهُ كلما عظمت اعمال انسان اشتدت حجة القائلين انهُ انما يعمل تلك الاعمال مقوداً بغريزتهِ الى استعمال جميع مواهبهِ في عملهِ لمجرد اتقانهِ لا رغبة في الجزاء عليهِ . والغالب انهُ يفعل ذلك كلهُ عن غير عمد او رويَّة

فللغريزة والحالة هذه يد كبيرة في وظائف الانسان الآلية وفي الأعمال التي يعملها لبلوغ امثل الغايات بها

لافوازيه وعلم الكيمياء(١)

يقيم في باريس الآن شيخ جليل القدر هو شارل حفيد شقيقة لافوازيه المشهور . يسكن هذا الشيخ قصراً فخماً في الحي اللاتيني المعروف بحي الآثار وزائرهُ يقع نظرهُ عند دخولهِ مكتبهُ على صورة كبيرة من صنع دافيد تمثل لافوازيه وقرينتهُ بحجمهما الطبيعي . فلافوازيه جالس امام مكتبهِ وقد امسك عن الكتابة ونظر الى امرأتهِ وهي واقفة الى جانبهِ ويدها على كتفهِ والاجهزة الكيماوية على منضدة امامهما وفي ارض الغرفة . ويرى ايضاً صورة نصفية لجد العائلة في عهد لويس الرابع عشر وصورة اخرى للعلامة بنيامين فرنكلين وكان قد ارسلها اليهِ مع رسالة يقول فيها ان صورتهُ هذه هي ثانية اثنتين من احسن صوره . وفي الغرفة المجاورة صورتان صنع مدام لافوازيه رسمت فيهما اول عملية للتنفس اجراها في الانسان . ويرى رسائل لفرنكلين لم تطبع بعد وهي محفوظة مع بقية الآثار . ومن هذه الرسائل رسالة رسم عليها صورة طيارة قدمها الى فرنكلين احد البحارة ووصف احتمال ادخال التحسين عليها واخرى فيها صورة

(١) مترجمة من مقالة للاستاذ لنك الاميركي بقلم الدكتور شخاشيري